القسم الثاني

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفقيه العالم
أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي *

أى شرف لأهل الأندلس ومفخر ، وأى محتد شيد الإسلام وسحر، خلدت منه الأندلس فقيهاً عالماً، أعاد مجاهل جهلها معالماً. وأقام فيها للمعالم سوقاً نافقه،

---

* هو عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمى ثم المرداسى الأندلسى القرطبى، ولا بعد السبعين ومائة. وسمع الغازى بن قيس وغيره وحج فأخذ عن عبد الملك بن الماجشون وأسد السنة وأصبغ بن الفرج، ورجع بعلم جم . روى عنه بقى ابن مخلد وابن وضاح وآخرون. وهو أول من أظهر الحديث بالأندلس، ولم يكن بالمتقن له ولا يميزه ولا يفهم صحيحه من سقيمه ولا يدرى الرجال ويقنع بالمناولة . وكان رأساً فى مذهب مالك، فقيهاً نحوياً شاعراً أخبارياً نسابة طويل اللسان متصرفاً فى فنون العلم ، مات فى سنة ٢٣٩ هـ .

انظر المزيد فى : طبقات النحويين واللغويين ١٧٦ ، تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٩، جذوة المقتبس ٢٨٢ ، ترتيب المدارك ٣/ ٣٠ ، بغية الملتمس ٣٣٧ ، إنباه الرواة ٢/ ٢٠٦ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٧ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٠٢ ، العبر ١/ ٤٢٧، ميزان الأعتدال ٢/ ٦٥٢ ، مرآة الجنان ٢/ ١٢٢، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٨، معجم البلدان ١/ ٣٢٣، الديباج المذهب ٢/ ٨ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٠، لسان الميزان ٤/ ٥٩، طبقات ابن قاضى شهبة ٢/ ١٠٠ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٣ ، بغية الوعاة ١٠٩/٢ ، طبقات المفسرين ١/ ٣٤٧ ، نفح الطيب ١/ ٤٦ و ٢/ ٨٥ ، شذرات الذهب ٢/ ٩٠، طبقات الحفاظ ٢٥٧ .

ونشر منها الوية خافقه ، وجلا عن الألباب صدأ الكسل، وشحذها شحذ الصوارم والاسل، وتصرف فى فنون العلوم، وعرف كل معلوم، وسمع بالأندلس وتفقه، حتى صار أعلم من بها وأفقه، ولقى انجاب مالك، وسلك من مناظراتهم أوعر المسالك، حتى أجمع عليه الاتفاق، ووقع على تفضيله الاصفاق، ويقال أنه لقى مالكاً آخر عمره ، وروى عنه عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود عليه السلام كان يركب إلى بيت المقدس فيتغذى بها ثم يعود فيتعشى باصطخر وله فى الفقه كتاب الواضحة ومن أحاديثه غرائب، قد تحلت بها للزمان نحور وترائب، وقال محمد بن لبانة فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى، وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والأعراب، وتصرف فى فنون الآداب، وكان له شعر يتكلم به سحراً، وترى ينبوعه بذلك منفجراً، توفى بالأندلس فى رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعد ما دوخ الأرض، وقطع طولها والعرض، وجال فى أكنافها وانتهى إلى أطرافها، ومن شعره قوله :

قد طاح أمرى والذى أبتغى ... هَيْنٌ على الرحمن فى قدرته [1]
ألف من الخمر وأقلل بها ... لعالم أربى على بغيته

---

(1) ورد فى المغرب فى حلى المغرب ٢/ ٩٦

ملاك أمرى والذى أرتجى ... هَيْنٌ على الرحمن فى قدرته
ألف من الشُّقْر وأقلل بها ... لعالم أرْبَى على بُغْيَتِهْ
يأخُذُها زِرْيَاب فى دقْعَة ... وصَنْعَتى أشرف من صَنْيِعَتِهْ

وكتب إلى محمد بن سعيد الترحالى رسالة ووصلها بهذه الأبيات:

كيف يطبق الشعر من أصبحت ... حالته اليوم كحال الغـــرق
والشعر لا يسلس الأعـــــلى ... فراغ قلب واتساع الخـــلق
فاقتنع بهذا القول من شـــاعر ... يرضى من الحضر بأدنى العنق
فضلك قد بان عليها كمـــــا ... بان لأهل الأرض ضوء الشفق
أما ذمام الود منى لكـــــم ... فهو من المحتوم فيما ســـبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معناه ولا يفرق بين مستقيمه مـــن مختله وكان غرضه الإجازة وأكثر روايته غير مستجازة، قال ابن وضاح قال إبراهيم بن المنذر أتى صاحبكم الأندلسى يعنى عبد الملك هذا بمرارة مملوءة فقال لى هـــذا علمك قلت له نعم ما قرأ علىّ منه حرفاً ولا قرأته عليه ، وحكى أنه قال فى دخوله الشرق وحضر مجلس الأكابر فازدراه من رآه فقال :

لا ينظـــرن إلى جسمى وقلتـــه ... وانظر لصدرى وما يحوى من السنن
فرب ذى منظر من غير معرفـــة ... ورب من تزدريه العين ذو فطـــن
ورب لؤلؤة فى عين مزبـــلة ... لم يلق بال لها إلا إلى زمـــــن

الفقيه القاضي
أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي *

رحمه الله تعالى

آية حركة فى سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون، وآية سفاهة فى تحلم، وجهامة ورع فى طى تبسم، إذا جد تجرد وإذا هز نزل وفى كلتا الحالتين لم يتزل لورع عن مرقب، ولا أكتسب أثماً ولا أحتقب، ولى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن وناهيك من عدل أظهر ومن فضل اشتهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع ومن باطل خفض، وكان مهيباً طيباً صارماً غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لأحد

---

* هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفرى القرطبى أبو الحكم البلوطى قاضى قضاة الأندلس فى عصره. كان فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً، نسبته على فحص البلوط بقرب قرطبة ويقال له الكزنى نسبة إلى فخذ من البربر يسمى كزنة رحل حاجاً سنة ٣٠٨ هـ ، فأقام فى رحلته أربعين شهراً. أخذ بها بعض علماء مكة ومصر. ولد سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ومات سنة ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦ م . قال ابن الفرضى: كان بصيراً بالجدل منحرفاً إلى مذاهب أصحاب الكلام، لهجا بالاحتجاج ولى قضاء ماردة وماوالاها ثم قضاء الثغور الشرقية، فقضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٣٩ واستمر إلى أن توفى فيها، لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور . له كتب فى القرآن والسنة والرد علىأهل الأهواء. منها الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله ويسمى أحكام القرآن و " الإبانة عن حقائق أصول الديانة " و " الناسخ والمنسوخ" .

انظر المزيد فى : تاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٧، نفح الطيب ١/ ٣٣٥ ، قضاة الأندلس ٦٦، بغية الملتمس ٤٥٠ ، بغية الوعاة ٣٩٨ ، أزهار الرياض ٢/ ٢٩٤ – ٢٩٧، جذوة المقتبس ٣٢٦ ، الكامل ٢٢٣/٨ ، أنباه الرواة ٣/ ٣٢٥، إرشاد الأريب ١٧٨/٧ – ١٨٥ .

مـــن خلق الله فى استخراج حق ورفع ظلم واستمر فى القضاء إلى أن مات الناصر لديـــن الله ثم ولى ابـــنه الحكم فأقره وفى خلافته توفى ، بعد أن استعفى مراراً فما أعفى، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه فى حكومته ذلة وكان غزيـــر العلم كثير الأدب متكلماً بالحق متبيناً بالصدق لـــــه كتب مؤلفة فى السنة والقـــرآن والـــورع، والرد على أهل الأهواء والبدع، وكان خطيباً بليغاً وشاعراً محسناً ولـــــد سنة ثلاث وعشرين (ومائتين) عند ولاية المنذر بن محمد وتوفى يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

(ومن شعره فى الزهـــــــد)

كم تصابى وقد علاك المشيب	وتعـــامى عمداً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذيـــر	إن يـــوم الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيـــل	بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
أن للموت سكرة فأرتقبهـــا	لا يداويك أن أتتـــك طبيب
كم ترانى حتى تصير رهينـــا	ثم تأتيك دعـــــوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليـــــــم	فأعملن جاهداً لها يـــارتيب
وتذكر يوما تحاسب فيـــــه	إن من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلا	للمنايا عليك فيهـــا رقيب

وذكـــر أن أول سببه فى التعلق فى الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه، أن الناصـــر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر فرطبة الاحـــتفال الذى أشتهر ذكره، وأنبهر أمره، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديـــه تذكـــر جلالة مقعده ووصف ماتهيأ له من توطد الخلافة ورمى الملوك بآمالها وتقـــدم إلى الأمير الحكم ابنه بإعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه إمام نشيد

الشـــعراء، فـــتقدم الحكم إلى أبى على البغدادى ضيف الخلافة وأمير الكلام، وبحر اللغة أن يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنقطع ، وبهت فما وصل الاقطع ، ووقف ساكناً متفكراً، وتشوف لا ناسياً ولا مـــتذكراً فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته، بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبى عـــلى البغدادى بكلام عجيب، ونادى من الإحسان فى ذلك المقام كل مجيب، وقال أما بعد: فأن لكل حادثة مقاماً ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال وأنى قـــد قمـــت فى مقام كريم ، بين يدى ملك عظيم فأصغوا لى بأسماعكم، وأمنوا عـــلىّ فأفـــئدتكم ، معاشـــر الملأ أن من الحق أن يقال للمحقق صدقت، وللمبطل كذبـــت، وأن الجـــليل تعالى فى أسمائه وتصدق بصفاته أمر كليمه موسى صلى الله عـــلى نبيـــنا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أن يذكر قومه بنعم الله عز وجل عـــندهم وأنـــا أذكركم نعم الله تعالى عليكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التى أمـــنت ســـربكم ورفعـــت خوفكـــم وكنتم قليلاً فكثركم ومستضعفين فقواكم ومســـتذلين فنصـــركم ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه أمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على ألافاق، وأحاطت بكم تشعل النفاق، حتى صرتم فى مثل حدقة البعير، مـــع ضـــيق الحـــال ونكد العيش والتغيير، فأستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم يا معشر الملأ ألم تكـــن الدماء مسفوكة فحقنها، والسبل مخوفة فأمنها، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ، ألم تكن البلاد خراباً فعمرها، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها، فأذكـــروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإماماته، حتى أذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يدا على عدوكم بطوية خالصة، وبصـــيرة ثابتة وافرة فقد فتح الله عليكم أبواب البركات، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات، وصارت وفود الروم وافدة عليكم، وآمال الاقصين والأدنيين إليكم،

يـــأتون من كل فج عميق، وبلد سحيق، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة تدل عـــلى أمـــور باطنة دليلها قائم، وغيبها عالم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيـــنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [1] وليس فى تصديق ما وعـــد الله عز وجل ارتياب، ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب، فأحمدوا الله أيها الـــناس على آلائه، وسلوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيـــده الله تعالى بالعصمة والسداد، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد، فأستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فإن من نزع يده من طاعة ، وسعى فى فرقة الجماعة، وفر من الديانة، فقد خسر الدنيا والآخرة إلا ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم ما أحاط بكـــم فى جزيرتكم هذه من شروب المشركين وصنوف الملحدين، الساعين فى شق عصـــاكم وتفـــريق ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وســـلم وعـــلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولى هذا والحمد لله رب العالمين ، وأنشد يقول :

مقال كحد السيف وسط المحافل ... فرقت به ما بين حق وباطـــل
بقلب ذكى ترتقى جبناتـــــه ... كبارق رعد عند رقش لا ناضل
فماد حضت رجلى ولازل مقولى ... ولاطار عقلى يوم تلك البلابل
بخير إمام كان أو هو كائـــــن ... لمقتبل أو فى العصور الأوائـــل
وقد حدقت نحوى عيون أجالهـــا ... كمثل سهام أثبتت فى المقاتـــل

---

[1] سورة النور الآيـــــة ٥٥ .

ترى الناس أفواجاً يؤمـــون داره وكلهم ما بين راض وآمـــــل
وفود مليك الروم وسط فنائـــه مخافة بأس أو رجاء لســـــائل
فعش سالماً أقضى حيـــاة معمر فأنت غياث كل حاف وناعـــل

فقال العلج هذا والله كبش الدولة وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثـــبات جنانه، وبلاغة لسانه، وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجباً منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفة عينه وقد سمع باسمه فقال الحكم هذا منذر بن ســـعيد البـــلوطى فقال : والله لقد أحسن ما أنشأ ولئن أبقانى الله تعالى لارفعن من ذكـــره فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكرنى بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه فـــلما انتهى الناصر إلى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيه والخطبة ثم توفى محمد بن عيســـى القاضـــى فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء وكان الخـــليفة الناصـــر كلفا بعمارة الأرض وإقامة معالمها وتكثير مياهها واستجلابها من أبعـــد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة ملكه وعزة سلطانه وعلو همته فافضى به الأغـــراق فى ذلك إلى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر فى الأرض أثـــره ، واســـتفرغ وســـعه فى تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها فأنهمك فى ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذى أتخذه فأراد القاضى مـــنذر بـــن سعيد رحمه الله وجه الله فى أن يعظه ويقرعه فى التأنيب ويقص منه بما يتناوـــله مـــن الموعظـــة بفصل الخطابة، والتذكير بالإنابة، فابتدأ أول خطبته بقوله تعـــالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُـــمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [1]

---

[1] سورة الشعراء الآيات ١٢٧ – ١٣٥ .

ووصـــل ذلـــك بكلام جزل ، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحـــره، وأفضى فى ذلك إلى ذم المشيد والاستغراق فى زخرفته، والسرف فى الانفاق عليه فجرى فى ذلك طلقا ، وتلافيه قوله تعالى :

﴿ أَفَمَـــنْ أَسَّـــسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] وأتى بماشـــاكل المعـــنى من التخويف للموت والتحذير منه والدعاء إلى الله عز وجل فى الزهد فى هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب فى الآخرة وباقيها، والتقصير عن طلب الدنيا ونهى النفس عن اتباع الشهوات وتلا من القرآن العظيم ما يوافقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا ، وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء إلى الله تعالى فعلم الخليفة أنـــه هو المقصود به ، والمعتمد بسببه، فاستجدى وبكى وندم على ما سلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه واستعصمه برحمته إلا أنه وجد على منذر بن سعيد لـــلفظه الـــذى قرعه به فشكا ذلك إلى ولده الحكم بعد انصرافه وقال: والله لقد تعمدنى منذر بخطبته وأسرف فى ترويعى ، وأفرط فى تقريعى، ولم يحسن السياسة فى وعظى وصيانتى عن توبيخه ثم استشاط وأقسم أن لا يصلى خلفه الجمعة أبدا فقال لـــه الحكم وما الذى يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به فزجره وانتهره وقـــال أمـــثل مـــنذر بن سعيد فى فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يعزل فى ارضاآء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد، هذا مالا يكون وأنى أستحى من الله تعالى ألا أجعل بينى وبينه شفيعاً فى صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد ولكنه وقد

---

[1] سورة التوبة الآيات ١٠٩ – ١١٠ .

نفســـى وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يمينى بملكى بل يصلى بالـــناس حياتـــه وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً، وعذله قوم من اخوانه لتكنيته لرجل كان يسبه فقال :

لا تعجبوا من أننى كنيتـــــه ... من بعد ما قد سبنا وهاجنـــــا
فالله قد كنى أبا لهب ومـــــا ... كناه إلا خزية وهوانـــــــا

(ومن قوله فى الزهـــــــد)

ثلاث وستون قد حزهـــــا ... فماذا تؤمل أو تنتظـــــــر
وحل عليك نذيـــــر المشيب ... فما ترعوى بل وما تزدجـــر
تمر لياليك مرا حثيثـــــا ... وأنت على ما أرى مســـتمر
فلو كنت تعقل ما ينقضـــى ... من العمر ما اعتضت خيرا بشر
فمالك لا تســـــتعد إذاً ... لدار المقـــأم ودار المقـــــر
أترغب فى فجأه المنـــــون ... وتعلم أن ليس منهـــــا وزر
فأما إلى جنـــــة أزلفت ... وأما إلى ســـــقر يســـتعر

وقحـــط الناس فى بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر القاضـــى منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء فتأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنقلاً وانابة واستجاء ورهبة واجتمع الناس له فى مصلى بقرطبة بارزين إلى الله تعـــالى فى جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر فى أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الـــناس فى الدعـــاء إلى الله تعـــالى والضـــراعة فلما سرح طرفه فى ملأ الناس وقد شخصوا إليه بإبصارهم قال يا أيها الناس وكررها مشيراً بيده فى نواحيهم ثم قال :

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [1] ، ﴿ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ *إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [2] فضج الناس بالدعاء وارتفعت الأصوات بالاستغفار والتضرع إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فى إرسال الغيث ووصل الحال ومضى على تمام خطبته فأفزع النفوس بوعظه وانبعث الإخلاص بتذكيره فما أتم خطبته حتى بللهم الغيث، وذكروا أن الخليفة الناصر لدين الله جاء غداة ذلك اليوم فحركة للخروج وذكر له عزمه عليه والسابقون متسابقون إلى المصلى فقال للرسول وكان من خواص حلفاء الصفاء إليه باليت شعرى ما الذى يصنعه الخليفة سيدنا فقال له : ما رأينا قط أخشع منه فى يومنا هذا أنه لمنتبذ حائر منفرد بنفسه لا بس أخشن الثياب، مفترش التراب قد رومى به على رأسه وعلى لحيته وبكى وأعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتى بيدك أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء منى قال فتهلل وجه القاضى منذر بن سعيد عندما سمع من قوله وقال يا غلام أحمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ننصرف إلا عن الصقيا، قال وكان القاضى منذر بن سعيد من ذوى الصلابة فى أحكامه والمهابة فى أقضيته وقوة القلب فى القيام بالحق فى جميع ما يجرى على يديه لا يهاب فى ذلك الأمير الأعظم فمن دونه ومن مشهور ما جرى له فى ذلك قصته المشهورة فى أيتام أخى نجدة حدثنى بها جماعة من أهل العلم والرواية وهى أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٤ .

(٢) سورة فاطر الآية ١٥ – ١٧ .

إلى شـــراء دار بقرطـــبة لحظية من نسائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كـــانت لأولاد ذكـــريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة وكان أولاد ذكريا أيتاماً في حجر القاضي فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه وأرسل ناســاً وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته فأرسل الخليفة إلى القاضي مـــنذر في بيـــع هذه الدار فقال لرسوله على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى الـــبيع وأمـــنا الوهي فليس فيها وأما الغبطة فهذا مكانها فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع وإلا فلا فنقل جوابه هذا إلى الخـــليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعاً أن تتراخى رغبته فيها وخاف القاضـــي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الاولاد سورتها فأمر وصي الايتام بنقض الدار وبيع انقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض وكانت لها قيمة بأكثر مما قومت بـــه للســـلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثـــه فيهـــا فاحـــال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك القاضـــي وقـــال له أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة فقال له نعم قال له وما دعاك إلى ذلك قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـــاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [1] فمقومك لم يقدرها إلا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نص في انقاضـــها أكـــثر من ذلك وبقيت الدار والحمام فضلاً ونظر الله تعالى للأيتام

---

(١) سورة الكهف الآيـــــة ٧٩ .

فصـــبر الخليفة على ما أتى من ذلك وقال نحن أول من انقاد إلى الحق فجزاك الله تعـــالى عنا وعن أمانتك خيراً قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعره ثار عليه ثورة الأسد الضارى، فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة مـــن ليالى شهر رمضان المعظم مع أبينا للأفطار بداره البرانية فإذا يسائل يقول يـــا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله من ثمار الجنة هذه الليلة وأكثر من ذلك فقال القاضى أن أستجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهنى أنه ركب يوماً لحيازة أرض محبسة فى ركب من وجوه الفقاء وأهل العدالة فيهـــــم أبو إبراهيم اللؤلؤى قـــال فســـرنا نقفـــوه وهو إمامنا وأمامه إمامه يحملون خرائطه وعلى ذويه الســـكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى فعرض لـــــه بعـــض الطريق كلاب مستوحمة وهى تلعق هنها وتدور حوله فوقف وصرف وجهـــه إلينا وقال ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالهن الذى تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من هزله، وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوماً فى خلوة له فى بستان الزهراء على بركة ماء طافحة ، واسط روضة نافحة فى يوم شديد الوهج الحر والجهد، وبث منه مـــا تجاوز الحد، فأمر بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ففعل ولم يطفىء ذلك ما بـــه فقال له الصواب أن تنغمس فى وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك ولم يكـــن مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلبى أمينه والحكم لا رابع لهـــم فكأنـــه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا ، وأقتصر عنه إقصاراً، فأمر الخـــليفة حاجـــبه جعفـــراً يسبقه بالنزول فى الصهريج ليسهل الامر فيه على القاضـــى فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه فى الصهريج وكان يحسن السباحة

فجعـــل يجـــول يميناً وشمالاً فلم يسع القاضى إلا إنقاذ أمر الخليفة فقام وألقى بنفســـه خلف جعفر ولاذ بالقعود فى درج الصهريج، وتدرج فيه بعض تدريج ولم ينبســـط فى السباحة وجعفر يمر مصعدا ومصوباً فدسه الحكم على القاضى وحملـــه على مساجلته فى العوم فهو يعجزه فى إخلاده إلى القعود ويعاتبه بإلقاء الماء عليه، والإشارة بالجذب إليه، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه، إلى أن كـــلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب فى فعله وتقفز معه، وتتقبل صـــنعه، فمـــن أجلك نزل، وبسببك تبذل، فقال له يا سيدى يا أمير المؤمنين الحـــاجب سلمه الله لا هو جل معه وأنا بهذا الهوجل الذى معى يعقلنى ويمنعنى مـــن أن أجـــول معه مجاله فاستفرغ الحكم ضحكاً من نادرته ولطيف تعريضه لجعفـــر وخجل جعفر من قوله وسبه سب الأشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخـــليفة بخـــلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما، وذكر أن الخـــليفة الحكم قال له يوماً : لقد بلغنى أنك لا تجتهد للأيتام وأنك تقدم لهم أوصـــياء سوء يأكلون أموالهم قال نعم وان أمكنهم نيك أمهاتهم لم يعفوا عنهن قـــال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال: لست أجد غيرهم ولكن أحلنى على اللؤلؤى وأبى إبراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسع الأخير، ومن أخـــبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن فى إنكاره عليه الإسراف فى البناء أن عبد الرحمن كان قد أتخذ إلى السطح العنبسة الصغرى التى كانت مائلة إلى الصـــرح الممـــرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بأن له قوامد ذهب وفضة أنفق عـــليها مالاً جسيماً وجعل سقفها صفراء فاقعة، إلى بيضاء ناصعة، تسلب الأبصار بمطـــارح أنوارها المشعشعة وجعل فيها أثر أتمامها لأهل مملكته مشهداً فقال لقرابته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل بـــه من البدائع الفتانة هل رأيتم قبلى أو سمعتم من فعل مثل فعلى هذا أو قدر عليه فقـــالوا لا والله يا أمير المؤمنين أنك لأوحد فى شأنك كله ولا سبقك فى مبدعاتك

هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره فأبهجه قولهم وبينا هو كذلك سار ضاحك إذ دخل عليه القاضى منذر بن سعيد وأجفانا كسا ذقنه فلما أخذ مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه فجرت دموع القاضى تنحدر على لحيته وقال : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا الآن تمكنه من قيادتك هذا التمكين ، مع ما أتاك الله وفضلك على العالمين، حتى أنزلك منازل الكافرين، قال فأقشعر عبد الرحمن من قوله وقال انظر ما تقول كيف أنزلنى منازلهم قال نعم أليس الله تبارك وتعالى يقول ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يفكر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون لبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون قال فوجم الخليفة ونكس رأسه ملياً ودموعه تجرى على لحيته خشوعاً لله تبارك وتعالى وتذمماً إليه ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى ياقاضى خيراً عنا وعن المسلمين والدين وكثر فى الناس أمثالك ، فالذى قلت هو والله الحق وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرامدها تراباً.

الفقيه
الأجل القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى *

من بني يحيى بن يحيى الليثي

وهـــذه تثنية علم وعقل ، وصحة ضبط ونقل ، كان علم الأندلس وعالمها الندس ، ولى محمد هذا القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق، وجمع فيها من الـــروايات والسماع كل متفرق، وجال فى آفاق ذلك الأفق لا يستقر فى بلد، ولا يســـتوطن فى مظلومه جلد، ثم كر إلى الأندلس فسمت رتبته، وتحلت بالأمانى لبته، وتصرف فى ولايات أحمد فيها منابه، واتصلت بسببها بالخليفة أسبابه، فولاه القضاء بقرطبة فتولاه بسياسة محموده ، ورئاسة فى الدين مبرمة القوى مجهودة ، والتزم فيها الصـــرامة، فى تـــنفيذ الحقوق والحزامة ، فى إقامة الحدود والكشف عن البينات فى السر، والصدع بالحق فى الجهر، لم يستمله مخادع ولم يكده مخاتل ولم يهب ذا خرمة

---

* انظر المزيد فى : الحلة السيراء ١/ ٩٨ ، المقتبس ٥١٩ .

هـــو محمـــد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن أبى عيسى كثير بن وسلاس المصمودى قاضـــى أندلسى، له علم بالأدب، من أهل قرطبة ولد سنة ٢٨٤ هـــ ، ٨٩٨م ، ونشأ وتعـــلم فيها وحج سنة ٣١٢هـــ فأخذ عن بعض شيوخ القيروان والحجاز وولى قضاء كـــورة جيان وكورة إلبيرة وكورة طليطلة ثم قضاء الجماعة بقرطبة فى أواخـــــر سنة ٣٢٦ هـــــ وكان الخليفة ينتدبه فى السفارات إلى كبار الأمراء ويرسله لترتيب المغازى، فيقـــيمه مقام أصحاب السيوف من قواد جيوشه ثم أخرج من قرطبة فى صـــــدر سنة ٣٣٨ هـــ فلما جاوز طليطلة توفى فى إحدى قراها ٣٣٩ هـــ/ ٩٥٠ م ودفن بطليطلة .

ولا داهن جانبه فلم يجسر أحد منهم عليه وكان له نصيب وافر من الأدب ، وحظ من البلاغة إذا نظم وإذا كتب ، فمن ملح شعره ، ما قاله عند أوبته من غربته:

كأن لم يكن بين ولم تك فرقـــة ... إذا كان من بعد الفراق تلاقى

كأن لم تورق بالعراقين مقـلتى ... ولم تمر كف الشوق ماء أماقى

ولم أزر الأعراب فى جنب أرضهم ... بذات اللوى من رامة وبراق

ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى ... وكأس سقاها فى الأزاهر ساق

(وله أيضـــــاً)

ماذا أكابد من ورق مغـــردة ... على قضيب بذات الجزع مياس

رددنا شجوا شجا قلبى الخلى فهل ... فىعبرة ذرفت فى الحب من باس

ذكرته الزمن الماضى بقرطبـــة ... بين الأحبة فى أمن وإينـــاس

هم الصبابة لولا همة شـــرفت ... فصيرت قلبه كالجندل الناســى

وله أخبار تدل على رقة الفراق، والتغذى بماء تلك الآماق، فمنها أنه خرج إلى حضور جنازة بمقابر قريش وكان رجل من بنى جابر يؤاخيه وله منزل فعزم عليه فى الميـــل إليـــه وعلى أخيه فنزلا عليه فأحضر لهما طعاماً وأمر جارية له بالغناء فغنت تقول :

طابت بطيب لناتك الاقـــداح ... وزها بحمرة خدك التـــــفاح

وإذا الربيع تنسمت أرواحـــــه ... طابت بطيب نسـيمك الارواح

وإذا الحنادس ألبست ظلماؤهـــا ... فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى فى ظهر يده وخرج من عنده وقال يونس بن عبد الله قد رأيته يكـبر للصـــلاة على الجنازة والآبيات مكتوبة على ظهر كفه وكان يلقب بالمقربلة فـــرفعت إليـــه امرأة متظلمة كتاباً تتظلم فيه من المعروف بالقباحة خال ولى العهد الحكـــم تذكر أنه غصبها حقالها فى ضيعة ورسمت الكتاب بعيبه وذمه والدعاء عليه

كـــل ذلـــك تسميه بلقبه فلم يفك القاضى كتابها لضعفه واضطرابه فأخذ القاضى مظلمتها من لسانها وكرم المشكو له لعظمته بأن أخر الإرسال فيه وكتب إليه على ظهـــر كـــتابها يحيـــل عليه فيما تضمنه من الشكوى ويحضه على إنصافها وأرسلها بالكتاب إليه فلما قرأه اجابه تحت الفصل الذى كتبه إليه يحيل على وكيله وتبرأ من اســـاءته إلى المـــرأة دون بينه ولا يمين ويعدد عن القاضى فيما قابله به فساء ذلك القاضـــى وعـــز عليه أهماله ذلك من نفسه فلما ركب إلى الزهراء وخرج من عند الخـــليفة قصد إلى القباحة ونزل عليه واعتذر إليه مما عدده وأقسم له أنه لم يستوف الكـــتاب المرفوع إليه، ولا وقف عليه، وقال له يا سيدى لا تكترث لهذا فقلما نجا منه أحد أنى أعرفك أن لقبى المقربلة ولقب والدى مرتكش ولجدى واله لقب لست أعرفه ولكن أخى أبو عيسى يعرفه وهو غائب فإذا وصل كتبت به غليك فضحك القباحة من قوله وأثنى عليه على طيب خلقه، وجاءه فى بعض الأيام من باديته حمل دقيق عليه قفص دجاج وكان على بابه المعتوه المعروف بابن شمس الضحى وكان فى ولايـــة القاضـــى من صغره إلى أن شاخ وبلغ السن الطويلة وإلى أن مات أسفه ما يكـــون وكان من شأنه مواظبة دار القضاة فى كل وقت شاكياً أو صابه فلما رأى الدجاج قال يا قاضى أعطنى دجاجة منهم لا بد والله أن تعطينى وكان لا يقدر على رده إذا علق بإرادته والاجاء من حمقه العجب العجاب فأمر القاضى فأعطى دجاجة فأخذهـــا ومر بها فرحاً يفخر بعطية القاضى فمر بدرب ابن أبى زيد شرق المسجد الجـــامع فإذا برجل متفقه يلقب بديك البادية جالس على باب داره يطلب فكاهة فقال للمعتوة من أين لك هذه الدجاجة يافلان فقال أعطانيها القاضى والله الساعة فأخذهـــا من يده وجعل يجسها فقال خذها إليك القاضى أعطاكها مقربلة ولا خير لـــك فيها فأنصرف إليه عاجلاً وقل له أنها مقربلة فيبد لها سمينة فالشىء عنده كثير فرجع إليه المعتوه بها وأصابه فى جماعة وقال له ياقاضى هذه الدجاجة مقربلة فابدلها

بسمينة فعرف القاضى هذه الداخلة وقال له هاتها حتى أراها فأخذها وجسها وقال لـه صـدقت فمن أين عرفت أنها مقبلة بعد ما مضيت بها فقال له قالها لى ذلك الفقيـه الذى عند درب بنى أبى زيد قال وما صفته فوصف له صفته فاستدل بها إلى أنـه المـلقب بديـك البادية فأمر فأبدلت بأخرى وقال له ارجع إلى ذلك الرجل فأعرضها عليه، وقل له قد أبدلها القاضى وسله أن يعطيك الديك الذى سيق له من البـادية أمـس فأنه لا يصلح لهذه الدجاجة غيره فيأتيك منه نسل حسن فأنقلب المعـتوه لذلك الرجل وأتاه وهو فى جماعة والدجاجة معه وقال له قد أبدل القاضى الدجاجـة ولكـن أعطنى أنت ديك البادية الذى أتاك فيكون زوجاً لهذه الدجاجة فأنـتهره الـزيدى وتغير لونه فأرى المعتوه غيظاً عليه فجعل يبكى ويلطم وجهه ويحـلف أن لا يـزول إلا بالديك وكان يأتى منه عند المنع مالا صبر عليه فأضطر الزيدى إلى أن دخل فأخرج له ديكاً من داره افتداء منه فأخذه وانطلق عنه. وقال أصـحاب القاضـى محمد بن عيسى ركبنا لبعض الأمر فى مركب حافل من وجوه الـناس إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى القاضـى هابه وأراد الانصراف فخانته رجلاه فاستند إلى الحائط وأطرق فلما قرب القاضى رفع راسه ثم انشأ يقول:

ألا أيها القاضى الذى عم عدله ... فأضحى به فى العالمين فريـدا
قرأت كتاب الله أستعين مـرة ... فلم أر فيه للشراب حـدودا
فأن شئت أن تجلد فونك منكبا ... صبورا على ريب الزمان جليدا
وإن شئت تعفو تكن لك منـة ... تروح بـه فى العالمين حميدا
وإن أنت تختار الحديد فـأن لى ... لسانا على مر الزمان حديـدا

فـلما سمع القاضى شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشأنه والله تعالى أعلم.

الفقيه
أبو عبد الله بن أبي زمنين *

فقيـــه ، متبـــتل ، وزاهـــد لا منحرف إلى الدنيا ولا متنقل ، هجرها هجر المـــنحرف، وحل أوطانه فيها محل المعترف، لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه، وأبد الها منه وتعويضه، فنظر بقلبه لا بعينه، وانتظر يوم فراقه وبينه، ولم يكن له بعد ذلك بها اشـــتغال ، ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال، وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه، والتأهب للأرتحال والتنقل من حبائل الاغـــترار واشراكه ، والتنقل من حال إلى حال ، ويستدل به على ذلك الانتحال فمن ذلك قوله :

الموت فى كل حال ينشر الكفنـــا ... ونحن فى غفلة عما يراد بنـــــا
لاتطمئن إلى الدنيا وبهجتهـــــــا ... وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلـــــوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنـــا
سقاهم الدهر كأساً غير صافيـــة ... فصيرهم لاطباق الثرى رهنـــا
تبكى المنازل منهم كل منسجـــم ... بالمكرمات وترثى البر والمننـــا
حسب الحمام لو أبقاهم وأهملهم ... ألا تظن على معلوة حســـنـــا

---

* له ترجمة وافية فى ترتيب المدارك للقاضى عياض، معالم الإيمان للدباغ، شجرة النور الزكية. هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرى أبو عبد الله المعروف بابن أبى زمنين فقيه مالكى من الوعاظ الأدباء من أهل البيرة، سكن قرطبة ثم عاد إلى البيرة فتوفى فيها سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م . ســـئل لم قيـــل لكم بنو أبى زمنين.فقال: لأ أدرى . له كتب كثيرة فى الفقه والمواعـــظ. منها : "أصول السنة ومنتخب الآحكام" و " تفسير القرآن" و "المغرب" فى المدونـــة وشـــرح مشكلها، فقه و " حياة القلوب" زهد ، و "النصائح المنظومة" شعره و"آداب الإسلام" ولد سنة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م .

الفقيه

أبو مروان عبد الملك الطبني *

مـــن ثنية شرف وحسب ، ومن أهل حديث وأدب ، إمام فى اللغة متقدم ، فـــارع لأهل رتب الشعر متنسم، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ثم عاد وقد تـــوج بالمعارف مفرقاً، وقام بقرطبة علماً من أعلامها، ومتسنماً لترفعها وأعظامها ، تؤثـــره الـــدول، وتصطفيه أملاكها الأول، وما زال فيها مقيماً، ولا برح فى طريق أمانيها مستقيماً، إلى أن أغتيل فى إحدى الليالى بقضية يطول شرحها فأصبح مقتولاً فى فراشـــه، مذهولاً كل أحد من انبساط الطرب إليه على انكماشه، وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع، وتصغى إليه المسامع، فمن ذلك قوله:

وضاعف مابالقلب يوم رحيلهم ... على مابه منهم حنين الاباعـــر
واصبر عن أحباب قلب ترحلوا ... ألا أن قلبى سائر غير صابـــــر

ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم اجتمع إليه فى المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة، وماله عندهم من الأثره ، قال :

---

* له ذكـــر فى جذوة المقتبس ومعالم الإيمان ، وشجرة النور الزكية . هو عبد الله بن زيادة الله بن أبى مضر التميمى الحمانى أبو مروان الطبنى، عالم باللغة والحديث، شاعر أصله من طبنه بالأندلس وهو من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وحج وكتب عمن لقى من العلماء وعاد فأملى كثيراً من تقييداته، ولد سنة ٣٩٦ هـــ/ ١٠٠٦ م . وقال ابن حيان: قتلته جواريه لتقتيره عليهم وكان يوصف بالبخل المفرط.

أنى إذا حضرتنى ألف محـــبرة ... يكتبن حدثنى طـــوراً وأخبرنى
نادت بعقوتى الاقلام معلنـــة ... هذى المفاخر لا قعبان من لبن

(وكتب إلى ذى الوزارتين الكاتب أبى الوليد بن زيدون)

أبا الوليد وما شطت بنا الدار ... وقل منا ومنك اليـــــوم زوار
وبينما كل مانذريه من ذمـــم ... وللصبى ورق خضر وانـــوار
وكل عتب وأعتاب جرى فله ... بدائع حلوة عندى وآثـــــار
فاذكر أخاك بخير كلما لعبت ... به الليالى فان الدهـــــر دوار

obeikandl.com

الفقيه
العالم أبو عمرو أحمد رحمه الله تعالى *

عـــالم ساد بالعلم ورأس ، وأقتبس به من الحظوة ما اقتبس، وشهر بالأندلس حـــتى صار إلى المشرق ذكره، واستطار شرر الذكاء فكره، وكانت له عناية بالعلم وثقة، ورواية له متسقة، وأما الأدب فهو كان حجته، وبه عمرت الافهام لجته ، مع صـــيانة ورع ، وديانـــة ورد ماءها فكرع، وله التأليف المشهور الذى سماه بالعقد، وحماه عن عثرات النقد، لأنه أبرزه مثقف القناه، مرهف الشباه ، تقصر عنه ثواقب الألباب، وتبصر السحر منه فى كل باب، لـــــه شعر انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الإحســـان وسهاه، أخبرنى أبو محمد بن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤســـاء فســـمع منه غناء أذهب لبه، وألهب قلبه، فبينا هو واقف تحت القصر إذ رش بماء من أعاليه فأستدعى رقعة وكتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة :

يا من يضن بصوت الطائر الغرد ... ما كنت أحسب هذا البخل فى أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبـــة ... أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعى ومنّ بـــــه ... صوتا يجول مجال الروح فى الجســـد
أما النبيذ فأنى لست أشربـــــــه ... ولا أحبل الا نسوتى بيـــــــدى

وعـــزم فتى كان يتألفه، وخامره كلفه، على الرحيل فى غده، فأذهب عزمته قوى جلده، فلما أصبح عاقته السماء بالأنوا ، وساقته مكرها إلى النوى، فأستراح

---

* ورد ذكره فى معالم الإيمان والتكملة لابن الأبار وشجرة النور الزكية.

أبو عمرو من كمده، وأنفسح له من التواصل متضايق أمده، فكتب إلى المذكور ، العازم على البكور :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكـــر هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكى حذار البين ملتهبا حتى رثى لى فيك الريح والمطر
يابرده من حيا مزن على كبدى نيرانها بغليل الشوق تســتعر
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً حتى أراك فأنت الشمس والقمر

(ومن شعره الذى صرح به تصريح الصب ، وبرح فيه من وقائع اسم) (الحب ، قولـــــه)

الجسم فى بلد والروح فى بـــلد ياوحشة الروح بل يا غربه الجسد
ان تبك عيناك لى يا من كلفت به من رحمة فهما سهماك فى كبدى

(ومن قولـــــه)

ودعتنى بزورة واعتنـــــــاق ثم نادت متى يكون التـــــلاق
وبدت لى فاشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطـــــواق
يا سقيم الجفون من غير ســـقم بين عينيك مصرع العشـــــاق
أن موت الفراق أفجع يـــــوم ليتنى مت قبل يوم الفـــــراق

(وله أيضـــــــــاً)

يا ذا الذى خط الجمال بخـــده خطين هاجاً لوعة وبلابـــــلا
ما صح عندى أن لحظك صارم حتى لبست بعارضيك حمائـــلا

أخـــبرنى بعض العلية أن الخطيب أبا الوليد بن عباد حج فلما انصرف تطلع إلى لقـــاء المتنبى واستشرف ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها، وحلة فخر لا يحتسبها،

فصـــار إليه فوجده فى مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلاً ثم قال أنشدنى لمليح الأندلس يعنى ابن عبد ربه فأنشده :

يا لؤلؤ يسى العقول أنيقـــا ... ورشا بتقطيع القلوب رفيقـــا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثـله ... درا يعود من الحياء عقيقـــا
وإذا نظرت على محاسن وجهه ... أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقـة ... ما بال قلبك لا يكون رقيقـــا

فـلما أكمـل إنشاده استعادها منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا وله أيضاً :

ومعذره نقش الجمال نجـــده ... حسنا له بدم القلوب مضرجـا
لما تيقن أن سيف جفونـــه ... من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(وله أيضاً رحمه الله)

وساحبة فضل الذيول كأنهـــا ... قضيت من الريحان فوق كثيب
إذا مابدت من خدرها قال صاحبى ... أطعنى وخذ من وصلها بنصيب

(وله أيضـــــاً)

هيج الشوق دواعى ســقمى ... وكسا الجسم ثياب الالـــم
أيهـــا البين أقلنى مرة ... فإذا عـدت فقد حـــل دمى
يا حلى الدرع نم فى غبطـــة ... أن من فارقتـــه لم ينـــم
فلقد هـــاج بقلبى سقما ... حب من لو شاء داوى سقمى

وبـلغ ســن عوف بن محلم ، وأعترف بذلك إعتراف متألم ، عند ما وهت شدته ، وبليت جدته ، وهو آخر شعر قال ، ثم عثر فى اذيال الردى وما استقال:

كلانى لما بى عاذلىٌ كفـــــانى ... طويت زمانى برهة وطوانـــــى
بليت وأبليت الليالى وكرهـــا ... وصرفان للأيـــــام معتوران
ومالى لا أبلى لسبعين حجـــة ... وعشر أتت من بعدها ســـنتان
فلا تسألانى عن تباريح عـــلتى ... ودونكما منى الذى تريـــــان
وأنى بحول الله راج لفضـــــله ... ولى من ضمان الله خير ضـــمان
ولست ابالى عن تباريح علتى ... إذا كان عقلى باقياً ولســـــانى

وفى أيـــام اقلاعه عن صبوته ، وارتجاعه عن تلك الغفلة وأوبته ، وانثنائه عن حجـــون المجـــون، إلى صـــفاء نوبـــته، محض أشعاره فى الغزل وقص من قوادمها وخوافيهـــا، بأشعار فى الزهر على أعاريضها وقوافيها، منها القطعة التى أولها، هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر، محضها بقول :

ياقادرا ليس يعفو حين يقـــدر ... ما الذى بعد شيب الرأس تنتظر
عاين بقلبك أن العين غافـــلة ... عن الحقيقة وأعلم أنها ســـــقر
سوداء تزفر من غيظ إذا سفرت ... للظالمين فلا تبقى ولا تـــــذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة ... لكان فيه عن اللذات مزدجـــر
أنت المقول له مبتدئاً ما قلت مبتدئاً ... هلا ابتكرت لبين أنت مبتكـــر

الفقيه

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي *

إمـــام اللغة والأعراب، وكعبة الآداب، أوضح منها كل إبهام، وفضح دون الجهل بها محل الإفهام، وكان أحد ذوى الأعجاز، وأسعد أهل الاختصار والإيجاز، نجم والأندلس فى إقبالها، والأنفس أول تهمهما بالعلم واهتبالها، فنفقت لهم عندهم البضـــاعة، واتفقت على تفضيله الجماعة وأشاد الحكم بذكره ، فأورى بذلك زناد فكـــره، وله أختصار العين للخليل، وهو معدوم النظير والمثيل، ولحن العامة وطبقة النحويين وكتاب الواضح ، وسواها من كل تأليف مخجل لمن أتى بعده فاضح، وله شعر مصنوع ومطبوع، كأنما يتفجر من خاطره ينبوع ، وقد أثبت له منه مايقترح، ولا يطرح، فمن ذلك قوله :

كيف بالدين القويم ... لك من أن تميـــــــم

ولقد كان شـــفاء ... من جوى القلب السقيم

يشرق الحسن عليها ... فى دجى الليل البهيـــم

---

* هو محمد بن الحسن الزبيدى النحوى الأندلسى أبو بكر من الأئمة فى اللغة العربية، ألف فى الـــنحو كتاباً سماه "الواضح" وأختصر كتاب "العين" اختصاراً حسناً، وجمع كتاباً فى "الأبنية" وكتاباً فى " لحن العامة" وكتاباً فى " أخبار النحويين" ورسالة " الانتصار للخليل" فيما رد عليه فى " العين" إلى غير ذلك وله شعر جميل كثير. توفى سنة ٣٨٠ هـــ ، روى عنه ابنه أبو الوليد محمد وأبو القاسم إبراهيم بن محمد بن ذكريا المعروف بابن الإقليلى . انظر المزيد فى : الوافى بالوفيات ٢/ ٣٥١، نفـــــح الطيب ٥/ ٢٤، ١٥٢ – ١٥٣ و٦٦/٦ ، معجـــم الأدباء ١٧٩/١٨ – ١٨٤ ، وفيات الأعيان ١/ ٥١٤، روضات الجنات ٦١٦ ، بغية الملتمس ٥٦ – ٥٧ ، بغية الوعـــــاة ٣٤ ، تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٨٣ ، جذوة المقتبس ٢٠ – ٢٢ .

(وكتب مراجعاً)

أغرقتنى فى بحور فكـــــر ... فكدت أموت غمـــا
كلفتنى غامضا غويصـــــا ... أرجم فيه الظنون رجما
مازلت أسرى السجوف عنه ... كأننى كاشف لظلمـــا
أقرب من ليلة وأنـــــأى ... مستبصراً نارة وأعمى
حتى بدا مشرق المحيـــــا ... لما اعتلى طالعا وتمـــا
لله من منطـــــق وجيز ... قد جل قدراً ودق فهما
أخلصت لله فيه قـــولا ... سلمت لله فيه حكمـــا
أذ قلت قول أمرىء حكيم ... مراقب للآله علمـــا
الله ربى ولى نفســـــى ... فى كل بؤس وكل نعمى

وكتب إلى أبى مسلم بن فهد وكان كثير التكبر، عظيم التجبر، متبعثراً لسانه مفتقراً من المعالم جنانه:

أبا مسلم أن الفتى بفـــؤاده ... ومقوله لا بالمراكب والبـــــس
وليس دواء المرء يغنى قلامـــة ... إذا كان مقصور على قصر النفس
ليس يفيد العلم والحلم والحجى ... أبا مسلم طول القعود على الكرسى [1]

---

(١) وردت هذه الأبيات فى انباه الرواة ٣/ ١٠٩ .

obeikandl.com

واســـتدعاه الحكم المنتصر بالله أمير المؤمنين فعجل إليه وأسرع، وفزع إليه من رياء الآمال ما فزع ، فلما طالت نواه ، واستطالت عليه لوعته وجواه وحن إلى مســـتقره بإشبيلية ومثواه ، استأذن الحكم فى اللحوق بها فلومه ولواه ، فكتب إلى من كان يألفه ويهواه :

ويحك يا سلم لا تراعى ... لابد للبين من مســـاعى
لا تحسبينى صبرت إلا ... كصبر ميت عـــلى النزاع
ما خلق الله من عذاب ... أشد من وقفة الـــوداع
ما بيننا والحمام فرق ... ولا المناجاة فى النـــواع
أن يفترق شملنا وشيكا ... من بعد ما كان فى اجتماع
فكل شمل على افتراق ... وكل شعب على انصداع
وكل قرب إلى بعـــاد ... وكل وصل إلى انقطاع [1]

[1] وردت هذه الأبيات فى أنباه الرواة ٣/ ١٠٩ .

obeikandl.com

الفقيه
أبو محمد علي بن حزم *

فقيـــه مســـتنبط، ونبيه بقياسه مرتبط ، ما تكلم تقليداً، ولا تعدى اختراعاً وتوليـــداً ، ما تمنت به الأندلس أن تكون كالعراق، ولاحنت الأنفس معه إلى تلك الآفـــاق، أقام بوطنه ، ومابرح عن عطنه ، فلم يشرب ماء الفرات، ولم يقف عشبه الـــثمرات، ولكنه أربى على من ذلك غذى، وزاد على من هناك قد نعل وحذى، تفـــرد بالقيـــاس، وأقتبس نار المعارف أىّ أقتباس، فناظر بها فيلق وقياس، وصنف وحبر حتى أفنى الأنفاس، ونبذ الدنيا ، وقد تصدت له بافتن محيا، وأهدت إليه أعبق

---

* هـــو ابـــن حزم الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غـــالب بن صالح بن خلف الفارسى الأصل اليزيدى الأموى مولاهم القرطبى الظاهرى. كـــان أولاً شـــافعياً ثم تحول ظاهرياً وكان صاحب فنون وورع وزهد، وإليه المنتهى فى الذكـــاء والحفـــظ وســـعة الدائرة فى العلوم، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار، له "المحلى" فى الفقـــة على مذهبه واجتهاده وشرحه هو المحلى و"الملل والنحل" و "الإيصال" فى فقه الحديـــث وغير ذلك. آخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن شريح بن محمد، مات فى سنة ٤٥٧ هـــ .

انظـــر المزيد فى : جذوة المقتبس ٣٠٨ ، تاريخ الحكماء ٢٣٢ ، الصلة ٢/ ٤١٥، بغية الملتمس ٤١٥، معجم الأدباء ١٢/ ٢٣٥ ، المطرب ٩٢ ، المعجب ٣٢ ، المغرب فى حلى المغرب ١/ ٣٥٤ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥ ، تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٦ ، دول الإسلام ٢٦٨/١، سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨، العبر ٣/ ٢٣٩ ، مرآة الجنان ٣/ ٧٩، البداية والنهاية ١٢/ ٩١ ، الإحاطة ٤/ ١١١، لسان الميزان ٤/ ١٩٨ ، النجوم الزاهرة ٥/ ٧٥ ، أخبار العلماء ١٥٦ ، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٩ .

عرف وريا، وخلع الوزارة وقد كسته ملاها، وألبسته حلاها، وتجرد للعلم وطلبه ، وجـد فى اقتـناء نحبه، وله تآليف كثيرة، وتصانيف أثيره ، منها الإيصال، إلى فهم كـتاب الخصـال، وكتاب الأحكام لأصول الأحكام، وكتاب القصد والملل ، والأهـواء والنحل ، وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك ، مما لم يطر مثله من هنالك، من سرعة الحفظ، وعفاف اللسان واللحظ، وفيه يقول خلف بن هارون :

نخوض إلى المجد والمكرمات بحار الخطوب وأهوالهـا
وان ذكرت للعلى غايـة ترقى إليها وأهوى لهـا

ولـه فى الأدب سبق لا ينكر، وبديهة لا يعلم أنه روى فيها ولا فكر، وقد أثبت من شعره ما يعلم أنه أوحد، وما مثله فيه أحد، فمن ذلك قوله :

وذى عذل فيمن سبانى حسنـه يطيل ملامى فى الهوى ويقـول
أمن حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له اسرفت فى اللوم فاتئد فعندى ود لو أشاء طويـل
ألم تر أنى ظاهرىّ وأنـنى على مابدا حتى يقوم دليـل

(وله أيضـاً)

هل الدهر إلا ما عرفنا وأنكرنا فجائعه تبقى ولذاته تفنـى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعـة تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعات فى المعاد ومـوقف تود إليه أننا لم نكن كنـا
حصلنا على هم واثم وحسرة وفات الذى كنا نلد به عنـا
حنين بها ولى وشغل بهـا أنى وهم بها يغشى فعينك لا تهنـا
كأن الذى كنا نسر بكونـه إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

(وله أيضـــــــــــاً)

ولى نحو أكناف العراق صبـــابة ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فأن يترل الرحمن رحلى بينهـــم فحينئذ يبدو التأسف والكـــرب
هنالك تدرى أن للعبد قصـــة وان كساد العلم آفته القـــــرب

(وله أيضـــــــــــاً)

لاتشمتن حاسدى ان نكبة عرضت فالدهر ليس على حـــال بمترك
ذو الفضل طورا ترأه تحت ميقعة وتارة قد يرى تاجاً على مـــلك

(وله أيضـــــــــــاً)

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصى فروحى عندكم أبداً مقيـــــم
ولكن للعيـــــان لطيف معنى به سال المعاينة الكريـــــــم

الفقيه

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخشني *

كـــان فصيح اللسان، جزيل البيان ، وكان أنوفاً منقبضاً عن السلطان ، لم يتشبث بدنيا، ولم ينكث له مبرم عليا ، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب، ولم يظهـــر رجـــاء المحـــتجب، وقال أبيت عن إمامة هذه الديانة، كما أبت السموات والأرض عـــن حمل الأمانة، إباءة اشفاق، لا إباءة عصيان ونفاق ، وكان الأمير قد أمـــر الزراء بإجباره، أو حمل السيف أن تمادى على تأبيه وإصراره، فلما بلغه قوله هـــذا أعفـــاه، وكان الغالب عليه علم النسب، واللغة والأدب، ورواية الحديث وكان مأموناً ثقه ، وكانت القلوب على محبته متفقه، وله رحلة دخل فيها العراق، ثم عاد إلى هذه الآفاق، وعندما أطمأنت داره، وبلغ أقصى مناه مداره ، قال :

كأن لم يكن بين ولم تلك فرقة ... إذا كان من بعد الفراق تلاق

كأن لم تورق بالعراقين مقلتى ... ولم تمر كف الشوق ماء أماقى

ولم آزر الأعراب فى جنب أرضهم ... بجنب اللوى من رامة وبراق

ولم أصطبح فى البيد من قهوة الندى ... كؤوساً سقانى البين جد دهاق

---

* هـــو الخشـــنى الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبى اللغوى صاحب التصانيف، ثقة كبير الشأن ، يذكر مع بقى وذويه، طلب للقضاء فأمتنع ونشر بالأندلس حديثاً كثيراً مات سنة ٢٨٦ هـــ .

انظر المزيد فى : طبقات النحويين واللغويين ٢٦٨ ، تاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٤، جذوة المقتبس ٦٨ ، بغية الملتمس ١٠٣ ، اللباب ١/ ٤٤٦ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٩، البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٢٢٦، بغية الوعاة ١/ ١٦٠ .

الفقيه

أبو محمد عبد الله بن محمد

المعروف بابن الفرضي القاضي *

كان حافظاً عالماً كلفاً بالرواية رحل فى طلبها، وتجر فى المعارف بسببها، مع حظ من الأدب كثير، واختصاص بنظم منه ونثير، حج وبرع فى الزهادة والورع، فتعلق باستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم فكر فى القتل ومرارته، والسيف وحرارته، فأراد أن يرجع ويستقيل الله فاستحيا، ثم آثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا، فأصيب فى تلك الفتن وقتل مظلوماً، أخبرنى من رآه فى جملة القتلى وهو بآخر رمق أنه سمعه يقول بصوت ضعيف فى سبيل الله والله يعلم من يكلم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه ينفث دماً لونه لون الدم وريحه ريح المسك كأنه يعيد الحديث على نفسه ثم قضى ومما قال فى طريقه، يتشوق إلى فريقه:

---

* هو الإمام الحجة أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبى صاحب " تاريخ الأندلس " و "المؤتلف والمختلف" وغير ذلك. أخذ عنه ابن عبد البر قال : وكان فقيهاً عالماً فى فنون العلم والحديث والرجال. وقال غيره : لم نر مثله بقرطبة فى سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والأدب البارع، ولد سنة ٣٥١ هـ وولى قضاء بلنسية وقتله البربر سنة ثلاث وأربعمائة .

انظر المزيد فى : جذوة المقتبس ٢٥٤ ، الصلة ١/ ٢٥١، بغية الملتمس ٣٣٤ ، المغرب فى حلى المغرب ١/ ١٠٣ ، وفيات الأعيان ٣/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٦ ، سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٧، العبر ٣/ ٨٥، الديباج المذهب ١/ ٤٥٢ ، نفح الطيب ٢/ ١٢٩ ، شذرات الذهب ٣/ ١٦٨، هدية العارفين ١/ ٤٤٩ .

مضت لى سنون منذ غبتم ثلاثة ... وما خلتنى ابقى إذا غبتم شـــهرا
ومالى حياة بعدكم أستلذهـــــا ... ولو كان هذا لم أكن فى الهوى حـــرا
ولم يسلنى طول التنائى عنكـــم ... بلى زادنى وجدا وجدد لى ذكرا
يمثلكم لى طول شوقى إليكـــم ... ويدنيكم حتى أناجيكم ســـــرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننـــا ... وهل نافعى أن صرت أستعتب الدهرا
أعلل نفسى بالمنى فى لقائكـــم ... واستسهل البر الـــذى جبت والبحر
ويؤنسى طى المراحل عنكـــم ... أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ما فارقتكم عن قلى لكم ... ولكنها الأقدار تجرى كما تجرى
رعتكم من الرحمن عين بصـــيرة ... ولا كشفت أيدى النوى عنكم سترا

(وله أيضـــــــــــــاً)

أن الذى أصبحت طوع يمينـــه ... إن لم يكن قمراً فليس بدونـــه
ذلى له فى الحب من ســـلطانه ... وسقام جسمى من سقام جفونه

الفقيه
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة *

كـــان على طريقة من الزهد والعبادة سبق فيها ، واتسق فى سلك محتذيها ، وكـــانت له إشارات غامضة، وعبارات عن منازل الملحدين غير داحضة، ووجدت لـــه مقالات ردية ، واستنباطات مردية، نسب بها إليه زهق ، وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق ، فتتبعت مصنفاته بالحذق، واتسع فى استماحتها الخرق، وغدت مهجـــورة ، على التالين محجورة، وكان له تنميق البلاغة وتدقيق لمعانيها، وتزويق لأعراضها وتشييد لمبانيها ، ومن شعره ما كتب به على أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم مطر وطين :

أقبل فان اليوم يوم دجن ... إلى مكان كالضمير مكنى

لنا بحكم فيه اشهى فـــن ... فأنت فى ذا اليوم أمشى منى

---

* له ترجمة وافية فى : جذوة المقتبس ٥٨ ، ومعالم الإيمان، شجرة النور الزكية، الصلة : هو محمـــد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله متصوف متفلسف أندلسى من دعاة الإسماعيلية مـــن أهل قرطبة. ولد سنة ٢٦٩ هـــ/ ٨٨٣ م ، ومات سنة ٣١٩هـــ/ ٩٣١م . قال الحميدى : له طريقة فى البلاغة وتدقيق فى غوامض إشارات الصوفية، وتآليف فى المعانى ونسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها . وقال ابن الفرضى: أنهم بالزندقة فخرج فاراً، وتردد بالمشرق مدة، ثم أنصرف إلى الأندلس وكان يحرف التأويل فى كثير من القرآن ، وقـــد رد عـــليه جماعة من أهل المشرق، وفى تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتاباً فى الرد على ابن مسرة واستتاب بعض أتباعه و " أحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه " .

عصفت به ريح المنـــــــ ـــون فصيرته كما تـــــراه
فضعوه فى أكفانـــــــه ودعوة يجنى ما جنـــــاه
وتمتعوا بمتاعة المخـــــزو ن واحووا ما حـــــواه
يا مصر ما مستبشعـــــا بلغ الكتاب له مـــــداه
لقيت فيه بشـــــارة تشفى فؤادى من جـــواه
ولقيت بعدك خير مـــــن نباه ربى واجتبـــــاه
فى دار حفص مـــا اشتهت نفس المقيم بما أتـــــاه

(وله من النثر يصف فرساً) أنظر إليه سليم الأديم ، كريم القديم كأنما نشأ بين الغبراء واليحموم نجم إذا بدا ، ووهم إذا عدا ، يستقبل بغزال ، ويستدبر برال ، ويتحلى بشتات تقسيمات الجمال .

(وله يصف سرجاً) بزة جياد ، ومركب أجواد جميل الظاهر ، رحيب ما بين القادمة والآخرة ، كأنما قد من الخدود أديمه ، واختص باتقان الحبك تقويمه .

(وله فى وصف لجام) متناسب الأشلا ، صحيح الانتماء إلى ثريا السما ، نكله نكال ، وسائره جمال .

(وله فى وصف رمح) مطرد الكعوب ، صحيح اتصال الغالب والمغلوب ، أخ ينوب كلما استنيب ويصيب .

(لـــه وصـــف قميص) كافـــورى فى ألديم بابلى الرسوم ، تباشر منـــه الجسوم ، ما يباشر الروض من النسيم .

(وله فى وصف بغل) مقرف النسب ، مستخبر الشرف آمن الكبب ، إن ركب أقنع اعتماله ، أو ركب استقل به أحواله .

(وله فى وصف حمار) وثيق المفاصل ، عتيق النهضة إذا ونت المراسل ،